D. De 3782

ULB Halle
000 896 942
3/1

Sb.

Universitäts- und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt
urn:nbn:de:gbv:3:5-79165/fragment/page=00000002

ديوان اليتامة

وقصة عزيز القوم ابن اخت الامير ابوزيد ورجوع
عليا مع ابوزيد من نجد العدية الى بلاد
الغرب وخروج دياب من
السجن وقتل السلطان
حسن من الامير
دياب

وهو الكتاب الخامس والعشرين من تغريبة بني هلال

طبع بنفقة الخواجات ابراهيم صادر واولاده
اصحاب المكتبة العمومية في بيروت

وذلك سنة ١٨٨٥ مسيحية الموافقة لسنة ١٣٠٢ هجرية

ابو زيد للمودة شروط كثيرة * وحفظت عهودك من زمان الاوايل
فما تذكر يوما اتيت لحينا * واعطيتك الحيصا بلبس الكمايل
وسمعت بها العربان يا مير كلهم * وذكر الفرس قد شاع بين القبايل
ابو زيد ما تذكر ليالي التي مضت * ونحن بارغد عيش والعز طائل
ابو زيد جاني نوفل مع معيقل * وجاني جباره والفتى ابن كامل
اتوا يخطبوني يا امير منعتهم * رديتهم عني وزدت الهوائل
ولا طابوا في عيني ولا ردت قربهم * ومن يرتضي الانذال بعد الاصايل
ابو زيد انهض يا امير بلا بطا * واسرع الى عندي وخلي المنازل
ابو زيد جد السير يا غاية المنى * وارحم فتات قلبها فيك مايل
وان كان ماتاتي فاذهب بغيبتك * واقطع عنك يا امير الرسايل
تقول عليا من فواد موجع * فارقت اولادي وناري شعايل

قال الراوي فلما فرغ عزيز القوم من قراة تلك الابيات وسمعتها جميع الامراء والسادات فقال السلطان حسن والله يا امير ابو زيد ان الحق مع عليا لانك قطعت عنها المخابرة وقد احترمت روية اولادها وانت ما عدت ذكرتها من يوم الذي تخاصمت هي والجازية ورجعت من مصر مع ابيها حسين الجعبري الى نجد وليست هذه افعال الامراء الكرام فاجابة ابو زيد هذا هو الحق والصواب والامر الذي لا يعاب ثم التفت الى العبد الذي احضر المكتوب من عند عليا واشار يترحب به ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه * يامرحبا في من اتانا قريب

وسريت مني القلب واللب والحشا * واطفيت من قلبي لظى ولهيب
وكيف حال عليا التي قد تركتها * دامت على العهد القديم تجيب
وهل حافظة العهد القديم الذي مضى * وتلك المحبة فالزمان عجيب
فعليا مني قلبي ولبي ومهجتي * وان شافها قلب المريض يطيب
ولابد ما اذهب اليها وجيبها * واقتل لراغبها براس قضيب
ومن ذا الذي يذكر لعليا بغيبتي * ويخش حماها او يكون خطيب
ما دام شاشتي يهب بها الهوى * لا رميه بسهم والحسام يصيب
واولادها عندي لسود كواسر * يخوضوا غبار الحرب يوم صعيب
انا ابوك باشيبان انا قاهر العدا * فاني بيوم الكائنات مريب
فاقعد عندي ثلاثون يوما يافتى * الى ان يروح الحج للغريب
واعطي مني كتاب لعليـــا * سلام محب من فواد حبيب
وانا بعدك اغدي اليها بعزوتي * واجيبها من فوق ظهر نجيب
واجمع بها شملي وشمل ولادها * وكل الامور عند الاله تصيب
يقول ابو زيد الهلالي سلامـه * ونيران قلبي زايدات لهيب

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه واولاده والامراء يسمعون نظامه فنهضوا وسلموا على العبد وسالوه عن والدتهم وعن صحتها فقال لهم انها الحمد لله بكل خير وهي تقبل وجناتكم فاخذوه وصاروا يتضايفوه لمدة الثلاثين يوم فعندها تحرك حج الغرب للزيارة فنهض العبد لعند الامير ابو زيد واخبره بالمسير على بلاد نجد صحبة الحجاج فاعطاه ابو زيد مطيه وثلاثمائة دينار ثم استدعى بقلم وقرطاس

واشار يخبر عليا بهذه الابيات ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه * وطير النيـــا حكم بقلبي مخالبه
من البعد والفرقة يا ما اصابنا * وكيف حال شخص فارقوه حبائبه
ايا غاديًا مني على متن ضامر * يجد الثرى في البرتجري وكائبه
اذا جيت الى نجد العدية وارضها * فسلم على عليا وباقي قرايبه
وقول لها يا منية القلب والحشا * شخصك مصور في فوادي نصائبه
ولا عافني الا خليفه وحربه * سقيناه كاس الموت مرة مشاربه
قتلهُ ابو موسي دياب ابن غانم * وادعى دماه على الاراضي سكائبه
اخذنا بلاده والقصور جميعها * واموالهُ تلفت وذهبت ذهايبه
واميرنا حسن الهلالي ابو علي * بكل بلاد الغرب حلت ركايبه
فلا بد لي من ارض نجد ارودها * ولو كنت اشوف الموت ثم المصايبه
كتبت على صدري مسائل كثيرة * خيام وسلطان وقاضي ونايبـــه
ولا بد من قاضي يشرع الحكم بيننا * وبيان للمغلوب من كان غالبه
تعذبني بالبعد والبعد خيبة * اذا طال عمر المرء تكثر متاعبه
ما قال ابو زيد الهلالي سلامه * وانا عبد من يحفظ على البعد صاحبه

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من انشاده طوى الكتاب وختمهُ بخاتمهُ وايضا شيبان واخوته كتبوا مكاتيب الى عليا والدتهم واعطوهم الى الشعاب وساروا معهُ سفر يومين ورجعوا اما هو فجد في قطع القفار ويصل سير الليل بسير النهار الى ان وصل مع الحج للقدس الشريف ومن هناك الى مكه والبيت الحرام وبعدها فتركهم وسار يقطع الروابي

والتلال الى ان وصل لنجد ودخل على عليا فترحبت به وسالته عن
ابوزيد وعن اولادها فاجابها بكل خير وناولها الكتاب فلما قرات كتب
اولادها نزلت دموعها وطلبت من الرحمان ان يفرج همومها هذا ما
كان من هولاء واما ما كان من الامير ابوزيد فانه من بعد ذهاب
العبد زادت بلابله واشواقه لمشاهدة عليا ودام على هذا الحال شهر
كامل وفي اليوم الحادي والثلاثون طلب البعض من جنوده واصحابه
ليرافقوه لبلاد نجد فابوا وقالوا نحن ما صدقنا اي متى وصلنا للغرب
وارتحنا من الطعن والضرب فحينئذ انشد ابوزيد يثني قومه على المسير
معه ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابوزيد الهلالي سلامه ❋ ودموع عيني زايدات الهائلي
ونيران قلبي كلما قول تنطفي ❋ يزيد لها جوى ضلوعي شعايل
ايامن يسعفني ويامن يعينني ❋ ويامن يزد الحمل اذا كان ماثل
ويعمل جميلاً مع الهلالي سلامه ❋ ويامن يرافقني لتلك الطلايل
حتى نجيب عليا فهي غاية المني ❋ وهي نور عيني يا كبار القبائل
فلا يلتقى فيكم اميرًا ماجدًا ❋ خنتوا عهودي ياجميع الكمايل
عند الرضا تبقون الكل عزوتي ❋ وعند الشدايد ما يلتقى لي معادل
ولابد ما اذهب الى نجد وارضها ❋ ونجيب عليا من بين تلك القبائل

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من كلامه فما احد من الاماره اجابه
على نظامه فاغتاظ الامير ابوزيد وتكدر وطار من عينيه الشرر فحينئذ
قام الامير عزيز القوم فارس الفرسان وحامي الميدان الذي شهدت له

الاقران في الحرب بطابق الجولان وهو ابن خالد ابن شيحا اخت الامير ابو زيد وابوه قتل في مصر بثغر بية بني هلال بوقعة الملك الفرمند وربي عند امه يتيم في حما ابو زيد الكريم الى ان اشتدت اوصاله وراقت احواله فصار فارساً عظيماً وشيطاناً رجيماً هابته الفرسان في الحرب والطعان وكان ابن سبعة عشر عام امرد لا نبات بعارضيه وكان يوضع برقع على وجهه خوفاً من النسا ان تطرح من حسنه فتقدم الى ابو زيد وقال له ياخال انا رفيقك لنجد ثم بعد هذا الكلام اشار يقول

يقول الفتى عزيز عما جرى له * اسمع كلامي يا امير ابو زيد
انا رفيقك ياسلامه بلا خفا * الى ارض نجد برها وصعيد
ونقصد الى عليا حقيق نجيبها * ويرتاح بالك يا امير اكيد
وتبلغ مرامك ياسلامه وغاينك * ويكثر خيرك يا لمير ويزيد
وانت تعرفني في حومة الوغا * الالف والالفين وحدي بكيد
وان كثرت الفرسان ماني بشانهم * انا الليث انا الدرفيل انا الصنديد
وتعرفني جملة هلال وعامر * ويشهد بفعلي كل قوم عنيد

قال الراوي فلما فرغ عزيز من كلامه والامراء وابو زيد يسمعون نظامه فانثنا الامير يونس وقال له ياعم انا رفيقك بهذه السفرة ففرح ابو زيد واستبشر وايقن ببلوغ الوطر وفي ثاني الايام ودعوا اهاليهم وجدوا في قطع الروابي والاكام مسافة تسعون يوماً وفي اليوم الواحد والتسعون وصلوا لصحرا وارض قفرا خالية من الماء فحرقهم الظماء من شدة الحر في ذلك البر ففي اليوم الثاني نظروا عن بعد بير ماء له علامة بتالك

البيدا فقصده يونس فوجد دلو وحبل على جانب البير فدلى الدلو الى البير واراد صعوده فانقطع بوسط البير فهم عزيز القوم بالنزول فمنعه الامير ابو زيد وقال له هذا بير مملى من الحشرات المسمة فدعونا نسير الى ان يفرجها الله تعالى فقال الامير يونس وحياة اسرار النبي لا بد لي من النزول الى البئر لاني صرت على التلف من كثرة العطش فقال ابو زيد الروح ما هي حشيشة حتى ينبت موضعها والافاعي لا يعرفوا لا امير ولا سلطان فقال يونس دعك من هذا الكلام ما احد ينزل غيري ولو سقيت كاس الحمام فقال ابو زيد افعل مرادك فلا احد يناقض خطابك فحينئذ اخذ الحبل ونزل الى البير فلاجل نفوذ القضا والقدر فشرب واملى الدلو وهم بالصعود فخرج عليه من جانب البير ثعبان ازرق اللون شنيع المنظر وضربه بفخذه فلما استحس يونس بضربة الثعبان غاب عن الوجود وزعق صوت ارتج منه ذلك المكان فغاب الثعبان عن عيونه وكان ابو زيد واقف على جانب البير فقال له ما بالك يا امير يونس وما جرى عليك فقال له اذعني ثعبان في هذا المكان فحينئذ نهض لخارج البير وحس ان قلبه احترق بنار السعير وشكا حاله لابو زيد وعزيز فنزلت دموعهم حرقة عليه وحينئذ اشار يوصي ابو زيد وانشد يقول

قال الفتى يونس على ما جرى له * بدمع جرى من مقلة العين عايم
بكيت على عزي وجاهي وهيبتي * تذكرت ايام مضوا من قدايم
ركبنا وجدينا المسير على عجل * لنجد العدية طالبين الغنايم

وكان سيرنا بالبر تسعين ليلة * الى ان وصلنا لنجد وقت الظلايم
وصلنا الى بير عتيق معتم * كبير وفيهِ الماء زايد وعايم
اتى عزيز ينزل البير عاجل * منعه ابوزيد كثير الفهايم
حلفت انا انزل الى البير قال لي * ابوزيد ارجع او تقع بالندائم
منعني وانا خالفته في كلامهِ * جازيت بفعلي والجزا لي ملايم
نزلت وانا ظمان والحر كادني * شربت وارويت الحشا والزلاعم
مليت الدلو وانا سليم من النيا * وهميت ان اطلع لعند اللزايم
والا بشعبان اتاني على عجل * ضربني بنابه ثم ارمى السمايم
ضربني بفخذي ثم ارخى مفاصلي * وقد غاب مني العقل والذهن عادم
ايا عم هذا اليوم آخر كلامنا * واخر عهدي اليك يا ابن الاكارم
ترى الموت كاسًا لا غنى عن شرابه * ولو عاش مهما عاش ذاق الحمايم
ولو عاش عمر النسر ياعم بالفلا * الفين عام يموت والله عالم
ياعم خالفتك وجرى ما جرى * وقد كنت لنفسي يا امير ظالم
يا امير البدو دانت منيتي * وانا عدت ضيفك ياوفي الزمايم
ياعم احفر لقبري ووسعه * لعله يبقى فاضي المخارم
وكفني بعمامتي ثم لفني * واوضع على قبري حجاره عظايم
وعمر لقبري بالكلس ياغاية المنى * من السبع لا يدعي لجسمي قسايم
وعلي النواصب يا امير سلامه * ولا تترك لقبري خفي العلايم
ابوزيد اقري السلام لاهلنا * وقول لهم يونس قد عاد نايم
واقري سلامي لامي الحزينة وقلها * فلا تقطعين البكا بالظلايم

وافري الى نجلا سلامي وقل لها * سلام ومن بعد السلام علائم
وقول لهم يونس توفي وقد غدى * رهين ومدعي تحت تل الردايم
مقال الفتى يونس على ماجراله * ابو زيد ما عدنا نرد الكلايم

قال الراوى فلما فرغ يونس من كلامهِ والاماره يسمعون نظامه بكوا عليه بكاء شديد فنظر كالمودع وغرغرت عيناه بالدموع وشهق شهقة واسلم الروح فشقت الاماره ثيابهم وزادوا في بكاهم وانتحابهم وغسلوه وكفنوه وصلوا عليهِ وقبروه وعقروا ناقته على قبره وبكوا عليهِ ساعة من الزمان وركبوا مطاياهم وساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا النجد قرب المساء ودخلوا لحي الامير حسين الجعبري فوجدوا فيه نفخ الزمور ودق الطبول والحي يهوج ويوج مثل ايام ياجوج وماجوج فلبسوا متعجبين والا مرت امامهم عجوز شمطاء لابسة حلة بيضاء فحياها ابو زيد بالسلام فردت عليهِ سلامه وبالغت في اكرامه فقال لها ابو زيد ايوجد عندك محل للمنام يانخبة العرب الكرام فقالت له اهلاً وسهلاً بكم ياشاعر العرب وسارت بهم الى منزلها . وبعد ان جلسوا واخذوا لانفسهم الراحة فقال لها ابو زيد مالي ارى الحي بفرح وسرور وبهجة وحبور فقالت له اعلم ياوجه العرب ان هذا عرس كريم وزفاف عظيم وهو عرس الامير نوفل فارس المجفل على الست عليا ابنة الامير حسين الجعبري المشهور وكانت سابقاً زوجة الامير ابو زيد فارس زحلان ودريد وكان ولد بے راعي لابلهِ والان مشرقين لمشاهدتهِ من حيث ترك نجد وسكن بلاد المغارب ولا عاد له بعليا ما رب آه .. لو كان يصل خبر

زفاف عليا اليهِ لكان يحضر و ياخذ روح نوفل من بين جنبيهِ فقال لها
ابو زيد هل عندك للسر موضع فقالت لهُ بير عميق ماله قرار وصندوق
مقفول وضايع مفتاحه خارج الدار فقال لها انا ابو زيد واعلمها بجلية
الخبر فلما سمعت ذلك الكلام قالت لهُ اهلاً وسهلاً بعزنا وحامينا ولكن
كم يحوق بعليا من الفرح لو بلغها خبر قدومك بالسلامة فقال لها
ابو زيد وكيف نقدر بالوصول اليها وهي بين تلك الجمهور الغفير فاجابتهُ
عند المسا نلبس عزيز هدوم ابنتي مايسه وناخذه لعند عليا وعندما
يفرغ المنزل من الجمع نلبس عزيز ملبوس عليا ونجلسه عروس مكانها
واحضر انا عليا لهنا ولا يعلم بنا احد فاستصوب ابو زيد هذا الراي وعند
ما اظلم الظلام قامت ولبست عزيز هدوم ابنتها واخذتهُ برفقتها الى ان
دخلوا لمنزل عليا فترحبت بهم وبالغت في اكرامهم وعندما انصرف
الجمع تقدمت العجوز لعليا وبشرتها بقدوم الامير ابو زيد وهذا عزيز
القوم فلما نظرت الى عزيز وحققت الخبر تقدمت اليه وسلمت عليهِ
وحبت يديه فقالت لها الان ليس وقت سلام بل المراد منك ان تنزعي
ثيابك ونلبسهم الى عزيز القوم لانهُ نظيرك بالحسن والجمال والقد
والاعتدال وهو يليق ان يكون مكانك ثم نذهب انا وانت لعند الامير
ابو زيد لانهُ بانتظارنا ففي الحال نزعت ثيابها ومشت العجوز امامها
وساروا لعند الامير ابو زيد فلما راهم ابو زيد مقبلين ونظر عليا لم يعد
يملك روحهُ من السرور فخرج لملاقاتها وقبلها ما بين الاعيان واخذها
ملوا الاحضان وتشاكيا من الم الفراق وشكرا الله على التلاق هذا ما كان

من هولاء واما من عزيز القوم فانهُ بعد ذهابهم اخذ يستنظر قوم العريس
وبينما هو بهذه الافكار والادخل الامير نوفل فقام ولاقاه وجلس
بجانبهِ فمد يدهُ اليها فنترت منهُ وقالت لهُ ليس هذه افعال العرب ياقليل
الادب فقال لها ما هو السبب حتى تباديني بهذا الكلام يانخبة العرب
الكرام فقالت لهُ اعلم ان العروس لها على العريس نقوط وانا يوم الذي
اخذني ابوزيد اعطاني الف دينار وانت تكون امير وابن امير
وياحيف انجل من طنجير فلما سمع منها هذا الكلام صار الضيا في عينيه
كالظلام وقفز واقف على الاقدام واراد يضربها بالحسام فقامت
العروس ومسكت الى نوفل ورفعتهُ على زندها وضربت بهِ الارض
كادت تدخل طولهُ بالعرض واوثقته بالحبال وربطتهُ على العامود
يقضي الوبال وهو يذوق العذاب الاليم الى ان اصبح بصباح العليم
فاطلقت سبيلهُ ودام على هذا الحال ياتي بالظلام طمعاً بالوصال ولا
اطلع احد على امره الى اليوم الرابع بينما هو خارج من الدار فالتقى بعمه
الحدار وكان رجلاً اختيار عليه سيمة الوقار فحياه بالسلام فرد عليهِ سلامه
وبالغ في اكرامه وقال مبارك ياعريس ان شاء الله تكون نلت مبتغاك
وقهرت مبغضيك واعداك فتنهد نوفل من فواد حزين وصاح باجواد
ياكريم فصاح به عمهِ وقال قل لي ما اتاك ومن هو بشره دهاك فقل لي
ولا تفزع واياك ان تجزع فقال له اعلم ياعم ومن هو كاشف الهم والغم ان
كل يوماً اذهب الى العروس ابنة الحرام طمعاً ببلوغ المرام فتوثقني
بالحبال والقيود وتربطني على العامود وها قد طلعت سري عليك

واركبت امرى اليك فاجابهُ الشيخ ياعريس هل تعلم من يقدر عليك بالقوة وافتى منك بالفتوة فقال لهُ ايها السيد الجليل انه لا يوجد احد يقدر ان يكتفني الا عزيز القوم وهو الان في بلاد المغارب فهل يمكن ان ياتي بهِ لهذه الاجانب ولا سيما يقاسون الاهوال والمتاعب فاجابه الشيخ ايها الاميران اردت تكشف عنك الغم وتزيل عنك هذا الهم اصنع لك شيشين احدهما من دم والاخر من سم فحينما تذهب وتطلب منها الوصال وتريد ان تكتفك بالحبال فاضربها اولاً بشيش الدم فان كانت انثى تذل وتنغم واذا كانت ذكر يهوش ويتقدم فاذا رايتها ارتدت اليك اضربها بشيش السم فيذل ويوقع بالندم . فاربطهُ بالعامود وقيدهُ بالسلاسل والقيود . فحينئذ شكره العريس على هذا العمل وايقن ببلوغ الامل . فذهب للبيت ومعه الشيشين المعهودين فلما نظرته العروس فقالت له هل احضرت الفلوس . فقال لها ما عندنا مال يا ابنة الاندال . وعندما تقدمت اليه لتكتفه فضربها بشيش الدم فهاجت فلما نظرها بهذا الحال اتى عليها بشيش السم فحينئذ تقدمت اليه وربطتهُ بالقوة والاقتدار من حلاوة الروح وحينئذ غير عزيز ملبوسه وتركه بحالهِ . فلما وصل ودخل اليه فاعلمه بما جرى عليه من الاول الى الاخر وبعد ذلك اشار يقول بهذا القصيد

يقول الفتى المدعى عزيز بما جرى ✻ ودموع عيني زايدات السكائب
ونيران قلبي كلما قول تنطفي ✻ يزيد لها جوا ضلوعي لهائب
من الغرب قد جينا حقيق بلا خفا ✻ لنجد العدية طالبين المكاسب

فقدنا الفتي يونس وكان رفيقنا * ومن بعد يونس ما ظن نبلغ مآرب
واتينا الى نجد العدية وارضها * وجدنا بها الافراح من كل جانب
وقالون عرسًا دايرًا في بلادنا * عرس الامير نوفل عز الفرايب
ففلنا لهم من هي العروس واسمها * قالون عليا راخيات الذوائب
لما سمع للفول ابوزيد اضطرب * وعادت بقلبه النار تزيد اللهايب
لبسني كما عليا وذهبت لعندها * وعرفتها بحالي وكل الطلائب
فلما عرفتني بسرعة قد اتت * لعند الامير ابوزيد شيخ العرايب
ولبست ملبوسها حقيق بلا خفا * وتزيت بالزينات ام العصائب
اتاني نوفل عند مغرب الضحا * بريد وصالي كالفسا ياعرائب
ربطنهُ على العامود وحدي بهيتي * ودعيته للصبح يقضي العذائب
وفي ثاني الايام اتاني بلا خفا * فادعيته مرمي على الارض غائب
وفي رابع الايام اتاني على نقا * ضربني بشيش الدم يا ابن الحسائب
ضربني فما باليت انا من ضربته * فتني عليّ بشيش من السم ذئب
جرح القديم ياخال انا ضامني * جرح الجديد شد واعليه العصائب
وقد اخبرتك ياهلالي سلامه * هيا بنا نرجع لارض المغارب

قال الراوي فلما فرغ عزيز القوم من كلامه والامير ابوزيد وعليا يسمعون نظامه فوقع مغشيًا عليه لان السم لعب في بدنه فحزن ابوزيد وتكدر وطار من عينيه الشرر ورشوا على عزيز الماء حتى فاق من غشوته وصارت عليا تمزق القمصان الحرير وتربط بها جروحات عزيز القوم فالتفت ابوزيد الى عليا وقال لها اذا مات عزيز لا اقدر ان

اخذك معي لان الطريق مخطرة والمسافة بعيدة فقالت له لا بد لي من
الذهاب معك وان مت اموت ولا ادع تشمت بك اعداك فافتكر
ابو زيد مدة من الزمان ثم عول على اخذ عليا معاه لكي لا ينطفي خبرهم
ولا احد من القوم يقتفي اثرهم ثم بدت عليا تمسح جروحات عزيز وتدهنها
بالمراهم وتعتني بشفائها وعند نصف الليل قبل ظهور نجم سهيل قام
عزيز من منامه فراى عليا وابو زيد امامهُ فعند ذلك راقت احواله
وسكن الله وقال له قم بنا ياخال نسير قبل الصباح لئلا نعدم التوفيق
والنجاح والحمد لله قد راقت احوالي وقام وركبوا مطاياهم وودعوا
العجوز واعطتها عليا عقد من الجوهر يسوى ملك بني الاصفر وجدوا
بقطع الرواني والقفار يسيروا ناالليل ويكمنوا بالنهار مقدار تسعون يوم
حتى قطعوا حدود نجد وتلك الديار وما زالوا سائرين الى ان وصلوا
لحدود غزة وتلك البلدان . لاراضي خالية من السكان . وفرغت منهم
الماء . واشتد عليهم الظماء . فحاروا في امرهم في تلك البيداء . فقال عزيز
ياخال اني معاهد بير بهذه الاطلال وهو قريب من تلك التلال فللحال
قصده ابو زيد ومعه القربة ولما نزل الى البير وجد شي يخبط بذلك
المكان ولهُ صريخ كصريخ الجان فجفل وخفق فواده فارتد راجعًا اليهم
وقال لهم ان البير منشف من الماء من عهد القدماء فتعجب عزيز غاية
العجب وقال له ياخال اني اعامد هذا لا يخلو من الماء لا صيف ولا شتاء
ثم اخذ الرمح بيده والقربة وتوجه ونزل الى البير فوجد شي يخبط بالماء
فضربه بالرمح ونهضهُ على السنان واذا هو جدي ماعز غرقان . فشرب

واملى القربة وذهب لعند خاله وقال لهم ها هوذا اتيتكم بالماء فتفضلوا واشربوا واطفوا بها الظماء فاخذوها منه وشربوا وذبحوا الجدى واكلوه والتذوا وانطربوا وكان يوميًا ابو زيد يغير جروحات عزيز القوم وعند مساء ذلك اليوم بينما كان يغير جروحاته فحمل له الرباط حتى انه يموت باقرب الاوقات لانهُ انخجل من عليا وفكر في نفسه وقال متى وصلنا لتونس وتلك الاطلال يخبر عزيز قصتي لكامل الرجال فتنحط منزلتي عند الفوارس والابطال ولما تنصف النهار حس عزيز قلبه احترق بالنار. وحقق ان السم وصل لقلبه. ولا فائدة بطبه فعندها بكا ابوزيد وتحسر. وندم على فعله المنكر. وراى عزيز على حالة التلف فقال لهُ سلامتك ياخال. فقال له ما بها سلام يازينة الابطال ثم غرغرت عيناه بالدموع واحضر دواية وقرطاس واشار يكتب الى امه شيحه ويوصي خاله ويقول وعمر السامعين يطول

يقول عزيز القوم والنار بالحشا ✻ ودموع عيني زايدات السكائب
اسمع كلامي يا امير سلامه ✻ يافارس الفرسان مذري الكتائب
فان اتيت لارض المغارب وشفتها ✻ سلم على الاخوان ثم الحبائب
وسلم لنا على الدريدي ابو علي ✻ وقبل اياديه وحب الركائب
وسلم على اولاد خالي جميعهم ✻ وسلم على الفاضي سرور ابو الحسايب
وسلم على زيان الامير وامه ✻ وسلم على الزغبي دياب المحارب
وسلم على امي الحزينة وقل لها ✻ تبكي عليَّ بالدموع السكائب
وان سالوك ياخال عني فقل لهم ✻ غدى رهين الموت تحت النرائب

هذا ترى ياخال اخر كلامنا ❊ والله يساعدني بوقت الحسائب

قال الراوى فلما فرغ عزيز القوم من كلامه وابوزيد وعليا يسمعون نظامه فبكوا عليه بدموع سجام ثم ان عزيز شهق شهقة واحدة وغرغرة عيناه بالدموع ونظر الى ابوزيد كالمودع واسلم الروح فقاموا عليه البكا والنواح حتى ارتجت من صريخهم تلك الروابي والبطاح ثم غسلوه ودفنوه وذبحوا ناقته على قبره ودام ابوزيد وعليا يندبون عزيز القوم مدة من الزمان ثم رحلوا طالبين الاهل والديار يقطعون البرارى والقفار وقضوا في طريقهم الاهوال من عثرة الطرقات بتلك الافات حتى ايقنوا بشرب كاس الآفات الى ان اشرفوا على بلاد الغرب فذهبوا الرعيان واخبروا السلطان حسن وبقية الامراء بمجيء ابوزيد فركبوا لملاقاته جميع رجال الحي فلما وقعت العين على العين فترجل السلطان حسن وباقي الامراء وسلموا على ابوزيد وعليا وكان افرح الجميع شيبان واخوته بملاقات والدهم عليا اما السلطان حسن فعمل ابوزيد عن الامارة يونس وعزيز القوم وما جرى لهم فعندها نزلت الدموع من عيني الامير ابوزيد وانشد يقول

يقول ابوزيد الهلالي سلامه ❊ احس ضميري شاعلات بنار

وان انطفت ناري تفيض مدامعي ❊ على صحن خدى جاريات غزار

انا كنت بظعني بخير ونعمة ❊ وعندى ضيوفًا بالمحل كثار

اتاني كتاب من حما نجد ارضنا ❊ وجابه اليّ نصر ابن نصار

بخط فتاة الحي عليا حليلتي ❊ وتقول نوفل اراد بخض الدار

فناديت يونس حقيقًا بلا خفا * وعزيز اتانا مثل سبع غار
فسرت بهم عشرون ليلة ومثلها * وعشرين بعدها ليل ونهار
اتينا الى نحوه ونحنا على ظما * والقلب مني فيه شعلة نار
لفينا على بير عتيق ومنهجر * بالي ومن حوله رجوم حجار
قال الفتى يونس فهذا مرامنا * فهاتوا الي حبلاً يكون مدار
فقلت له هذا قديم ومنترك * وفيهِ الافاعي ساكنه بديار
فاقسم يونس بالطلاق ثلاثه * وزكى يمينه بالنبي المختار
ونزل يونس الى البير وارتوى * وايضا ارتوينا نحن مع الابكار
قليلاً والاصار في البير رعده * كسبع كاسر على الفوارس غار
اثارى بجنب البير حنش يشوفه * لذعه بفخذه يا امارا وغـــار
نشلناه واصمدناه الا ان وجهه * ازرق غدى يشبه الى الزنجار
وقال لي يا عم فرت منيتي * وعاد يقلب ميمنه ويعـــار
حفرت له قبرًا عميق بساعتي * وكفنته بالشاش يا حضار
بكيت عليه انا وعزيز ابن خالد * وعـاد بقلبي علقما ومرار
تينا الى نجد العديه وارضها * والى المخارم منبع الانهـــار
ارينا عجوزًا كبر الله شانها * وقالت لنا اهلاً بذي الخطار
وقالت لنا موجود عرسٌ بالعرب * الى الامير نوفل فهو حماة الدار
وانا ماشطه الى عليا بلا خفا * من وقت سلامه في ظعونه سار
واخبرتها بحالي سريعًا بلا بطا * وقلت لها انتي اكتمي الاسرار
فقالت شرّف يا امير لنحونا * ونيخ مطاياكم بوسط الدار

وقد لبست عزيز ثياب بنتها * ووضعت براسه برقعًا وخمار
واخذت عزيز لعند عليا على نقا * واحكت لها بجملة الاخبار
وقد اتت عليا لعندي بلا خفا * وعزيز خلته بوسط الدار
وقد اتاه نوفل يطلب وصاله * فاوثق ايادبه باشد زيار
وهذه فعاله اربع ليالي كوامل * فقام انغبن منهُ وخلقه ثار
فجاب لهُ شيشًا طويل مسمم * ضربه بكتفه اورثه اضرار
فاتى وقال يا خال انهض لنرتجع * فان المنيه قاربت للدار
فجئنا الى قرية نزلنا بارضها * تسمى بغزة زينة الاقطار
وقال لي يا خال قربت منيتي * دنا اجلي ما عاد منها فرار
بالله عليك يا خال علي لتربتي * على تل عالي وعمره بحجار
حتى اذا هب النسيم وانجلا * نتذكر الاحباب ثم الجار
وعند غياب الشمس مات وانقضى * وقد صرت انا في حالتي محتار
انا شاكر لاهل غزة بفعلهم * فقد دفنوه كبارهم وصغار
وقد اتينا نحو تونس على عجل * نقطع فيافي برها وقفار
وقاسيت في دربي امورًا شدايد * وشعر راسي شاب ايا حضار
فيا ليتني ما كنت جئت وشفتكم * وكنت غديت ومت تحت احجار
ويا ليت يومي كان من قبل يومهم * ولا ذقت حسرتهم وذقت امرار
مقالات ابو زيد الهلالي سلامه * والدمع من عيني غدا فوار

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه . والسلطان حسن والاماره يسمعوا الى نظامه فوقع عندهم الصياح . والبكا والنواح . من

كل جانب وناح . وتهكت لفقدهم الوجوه الملاح . وكسروا السيوف والرماح . وجزت شعورها البنات والنسوان . وعادوا بالهم والاحزان وصار عندهم يوم كاخر الزمان . وذهب ابو زيد لمنزله وتبعوه الرجال والشيان . والبنات والنسوان . وصاروا يعزوه بفقد اولاد الامارة . ويهنوه بعودته بالسلامة هو وعليا ودامت الناس تتقاطر الى عند ابو زيد مدة من الزمان هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الامير دياب ابن غانم بعد ذهاب الامير ابو زيد الى بلاد نجد يجيب عليا فانه كتب الى جميع الامارة لكي يشفعوا به عند السلطان حسن فكان تعبه سدى وقد مضى عليه بالحبس ثلاثة سنين يقاسي العذاب المهين وفي السنة الرابعة اشار يكتب الى السلطان حسن ويقول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم * ولي مجلس بين الرجال شديد
ايا غاديًا مني على متن ضامر * فسلم على حسن الفتى الصنديد
وقل له يا عز قيس وعامر * ايا من بسيفه ذل كل عنيد
انا قتلت مناع ما هي عداوه * وانت في تلك الامور شهيد
ضربته في الميدان والسوق منتصب * وقد كان في ذاك النهار عنيد
مشينا لك في الصلح بالفين ناقه * والفين تتبعها خدم وعبيد
ومن بعد هذا نوفله بنة غانم * شبيه الثريا في الظلام تقيد
ومن بعد هذا محلت نجد وارضها * سبع سنين كاملة وتزيد
بعثنوا لكم رياد منكم وسافروا * وكان ابو سعده لهن رصيد
حبس الفتى مرعي ويحيي ويونس * وابو زيد قد وافاه بالتنكيد

وقال ارحلوا ما عاد في نجد عيشه * ولا عاد فيها يا هلال مفيد
رحل نجعنا من ارض تونس كالدبا * نقول بحارًا طاميه وتزيد
وسرنا ملينا الارض من كل جانب * وابوزيد قيدوم لنا وقليد
وطابت لنا من نجد الى قاع تونس * الى ان اتينا الى بلاد حديد
وجاء ابو خريبه ينهب لمالنا * وقد كان جنيّ في الطراد عنيد
ضربته بحد السيف ارميت راسه * وخليته تحت التراب لجسد
فجاني سعد العبد في الحال قال لي * اعزيك في اجوادنا يا سيد
ركبتُ على ظهر الجواد كانني * احاكي سكران بغير نبيد
وجيت الى حرب الزناتي خليفه * وجتني قنوع ودمعها بيزيد
ماينين عزرا يا هلالي ابو علي * ولا واحدة الا وقالت قصيد
يقولوا الزناتي اليوم اهفى لقومنا * دهانا وخلانا في تعديد
وانت ان اخذت اثار يا بو موسى * نعطيك مهما تشتهي وتريد
ونعطيك اخت الهلالي ابو علي * مع عين تورز للشراب بريد
وندخل نحنا الكل من تحت طاعتك * نجوز ولا يبقى على ايدك ايد
فقلت لهم مني ابشروا ذال همكم * وفي ظني ما خاب فيكم قصيد
وجاني ابو سعده الزناتي خليفه * على ضهر اشهب بالطراد يكيد
ضربته بحربه سنها يخرق الحصى * وخليته تحت التراب وكيد
وملكتكم كل المغارب بصارمي * ولا عاد لا شر ولا تنكيد
جازيتني بالحبس يا امير الملا * وهذا منك ما يكون مفيد
شنفت اخوتي واولاد عمي وهنتني * وخليت نساهم في بكا وعديد

شكيت الى الله ياحسن يوم شنقهم * لو كنت خالص من قيود وحديد

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وارسله الى السلطان حسن فلما قراه وعرف ما حواه اشار يرد جوابه ويقول يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي * نيران قلبي زايدات وقود

ايا غاديًا مني على متن ضامر * كشبه نعام في الجبال شرود

اذا جيت الى الزغبي دياب فقل له * وقعت وما عاد للكلام نفود

علامك بترغي يا دياب وتزبد * ومن بعدها انك تكون مفقود

خيار الفتى يامير اذا اتاه النيا * يكون صبورًا على الامور جلود

فاصبر على حلو الليالي ومرها * حتى يجود الدهر بالمقصود

وحيات راسي يا دياب ابن غانم * وانتم عليّ يا كرام شهود

لا بد ما افني جميع رجالكم * وخلي نساكم باكيات شرود

فلما فرغ السلطان حسن من الكتاب ارسله الى الامير دياب فعلم ان تعبه مع حسن بالمحال ولم يلبث منتظر الفرج من الله حتى مضت عليه السنة الخامسة فاستدعى بقلم وقرطاس واشار يكتب الى صديقه شبل الدريدي ويترجاه بهذا الخصوص ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسى دياب بن غانم * بدمع جرى فوق الخدود حدور

كنا بنجد في سرور وفي هنا * تجينا الفواكه من جميع زهور

وكنا نصيد الوحش من واسع الفلا * وهم في البراري شاردين نفور

ومن بعدها قد احتلت نجد وارضها * سبع سنين كاملات شهور

فجينا لى ارض الزناتي خليفه * وقتل منكم كل قرم جسور
وتحاربنا واياه في حومة الوغى * وادعيته مرمي بوسط قبور
فجازاني حسن الهلالي ابو علي * في حبس مظلم والزمان قهور
فبالله يا زحزاح بلغ رسالتي * لشبل بن راشد فارسنا وغيور
امير الملاحصن الرجال من العدى * يشيل الاسارى من حبوس عكور
يسير الى حسن الهلالي ابو علي * يقول له دياب في بلا ميسور
لعله يقبل يا امير شفاعتك * ويطلقني وتنال انت اجور
تخلت عني الناس يا مير كلهم * ولا عاد ياتيني خليل يزور
وقد ارسل حسن يثقل قيودي * ولا يعلم ان الزمان غرور
متى ترجع الايام ونرجع لاهلنا * ويحدث من بعد الامور امور
واقتل الى حسن الهلالي ابو علي * ويمسي في الوادي طعام طيور

فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب ارسله مع الزحزاح الى الامير شبل فلما وصل الكتاب اليه قراه وفهم ما حواه وتوجه لعند السلطان حسن وسلم عليه بكلام حسن واشار يتشفع بالامير دياب ويقول

يقول الفتى شبل الدريدي بما جرى * الوم نفسي وما لي حد لايم
وجيتك يا حسن فاقبل حديثي * ايا همام يا ابن الاكارم
الا يا ابن سرحان انت زخري * فنحن من الاقارب واللزايم
فسامح عن دياب وفك قيده * وسامح ذلته وامحي الجريم
وان دياب في الحبس يامير قل حيله * وحالاته تشابه حال خادم
ووطفا واختها قلقا حزينه * ينوحوا وما لهم في الحي راحم

وامه ضرها سهر الليالي * وابوه صار هذا اليوم نادم
على من شاف في نجد العديه * زمان العز ولى راح هازم
فلا تامن صروف الدهر يا من * غدى بالجود للعربان حاكم
انا جينك دخيل اسمع كلامي * وفك قيود ابو موسى بن غانم
لانك بالسخا والجود كامل * فاسمح عن ذنوبه والجرايم

فلما فرغ الامير شبل الدريدي من كلامه والسلطان حسن يسمع نظامه فقال له حسن يا امير شبل انا ما نسيت قتل اخي مناع وحرق الحدائق في نجد وما فعل معسعده خطيبة ولدي مرعي وحرقهُ الزرع في تونس وروض البهرجان وقطع الطرق على العرب وغلا الغرب عليهم كما فعل في نجد وبعد ذلك اشار بخبر الامير شبل الرياشي بهذا القصيد يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو على * والهم ما بين الضلوع شديد
ايا شبل جيت شفيع في ابن غانم * يا مير ترك دياب عاد بعيد
وقتلة اخي مناع انا ما نسيتها * وهو كان فارسنا فتى صنديد
وحرق حديق البهرجان وغيره * وخلى جميع هلال بالتنكيد
واخذ سعده من قصرها كي يعزها * فجازاها بالضرب والتشديد
نهيناه بالمعروف عن جرم فعله * عصى وانفرد عنا وعاش فريد
يكن نوي ان يملك الغرب كله * ويبقى على امراء هلال يسيد
فان عانني ربي قتلت بن غانم * وادعيت اهله في بكاء شديد

قال الراوي فلما فرغ السلطان حسن من هذا القصيد فرجع لمحلهِ واخبر الزحزاح بما قاله السلطان حسن فرجع الزحزاح لعند الامير

دياب واخبره بالذي صار فحينئذٍ قال الامير دياب لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وقد دام دياب بهذا الحال يقاسي الاهوال حتى
مضت عليه السنة السادسة فاستدعى بقلم وقرطاس ودواية من
النحاس واشار يكتب الى الامير سعد الرياشي ويترجاه ان يتشفع به امام
السلطان حسن ليطلقه من السجن ويقول

يقول دياب من قلب موجع * ونيران الحشى متوقداتي
على زمن مضى ما عاد ياتي * وعلى فقد الليالي السالفاتي
بليت بالزل من بعد المعزه * وعدت يسير في حبس الزناتي
وابن سرحان ما يرفق بحالي * وقد امر بضربي بالعصاةِ
فيا زحزاح ارفق بابن غانم * انا المملوك وانت المالكاتي
فروح وصل كتابي للمسمى * الى المير سعد نسل الطيباتي
ويذهب نحو سلطان البوادي * امير القوم عز المحصناتي
وقول دياب قد امسى حقيرًا * ففك قيوده يا بو الصفاتي
اما تذكروني في سوق المنايا * على الخضرا و سيفي في يدي قناتي
وقد سلمتموني البوش كله * ليرعى في البراري المعشباتي
وسار الظعن من وادي لوادى * نصبتوا خيامكم بارض الزناتي
فقل يوم الوغى تسعين قرمًا * وسكنتهم قبور المظلماتي
وعدتوا ترسلوا نحوي الرسائل * براقع بالدماء مخضباتي
رحلت وجيت انا من فوق شهبا * عليها قتلت ابو سعدى الزناتي
قتلته والعزاري يشهدوا لي * واولاده ينوحوا مع البناتِ

تجازيني بحبسك يا هلالي * وان الدهر دوماً فانياني
واجازي الى حسن من سوء فعله * واذوقه كما ذاق الزناتي
واخلي عياله بعده حيارى * ويندبه النساء مع البنات
فمن نجاني يبشر بالسلامه * كسوته من ثياب المثمناني
فيا امير سعد يا حصن الاسارا * اخبر لي حسن يطلق حياتي

قال الراوي لما فرغ دياب من تحرير الكتاب ارسله صحبة الزحزاح فلما وصل الى الامير سعد وقراه وعرف ما حواه فحينئذٍ توكل على صاحب العز والجاه وسار طالب السلطان حسن فلما وصل اليه سلم عليه وقبل يديه واشار يتوسل اليه بخلاص الامير دياب ويقول

يقول الفتى سعد الرياحي بما جرى * ونيران قلبي زايدات قداح
كنا بنجد في سرور وفي هنا * بنعم واحسان ولعب مزاح
وكان بها عنب الدوالي مكعب * والخوخ والرمان والتفاح
جفتنا الراضي نجد من بعد عزها * سبعة سنين كاملات شحاح
سبع سنين ما اتى نجد عارض * وعادت حبوب الارض بالاكداح
جفل منها وحش الفلا غاب بالفلا * والطير من جدب الاراضي راح
رحلنا من نجد العدية وارضها * وقلنا من الشده عسى نرتاح
ولما اتينا القيروان وقابس * اتونا الزناته جاذبين سلاح
وجاكم ابو سعد الزناتي خليفه * على ظهر اشهب مثل طير راح
قتل منكم يا قوم تسعين فارس * وخلى العزاره في بكى ونواح

وارسلتوا الى دياب البراقع * اخذهم سعيد على الهجين وراح
اتانا دياب الخيل من فوق خضرا * وقتل الزناتي ذاك مات وراح
وملككم هذه البلاد جميعها * والاربعة عشر قلعة يا حجاج
جازيته بالحبس يا امير ابو علي * فما كان واجب حبسهُ يا صاح
فاقبل حديثي في دياب بن غانم * فتى شيخ زغبه كلها ورياح

قال الراوي فلما فرغ الامير سعد الرياحي من كلامه والسلطان حسن يسمع نظامه فقال له يا ابن عمي اطلب مني ملكي فلا اعزه عنك ولا تفتح لي سيرة اطلاق دياب واشار السلطان حسن يقول

يقول الهلالي نادي الوجه ابو علي * ولي عزم في الهيجا لمن جا يعارك
انا ضد خصمي يا رياحي ومهتدي * وانا مذهبي ينهي عن الشيخ مالك
دياب يعاندني على الغرب يملكه * لما نصب رمحه في عين المهالك
وحق الصفي والمصطفى سيد الوفى * واقسم بمن للانس والجن مالك
الزغابه لابد بالحسام ابيدهم * واخلي امير القوم في الارض بارك
ايا سعد لو مالك مقام وهيبة * وانت على الاجواد تقرا المناسك
رميتك بشوري في بحور عميقه * لكن انا يا سعد للعهد ماسك
وخلي دياب في السجن يرتاح خاطري * ان قام هو جملي وان ضل بارك

قال الراوي فلما فرغ السلطان حسن من هذه الابيات ذهب الامير سعد الى عند الزحزاح واخبره بما قاله السلطان حسن وكذلك اخبر الاميرة بذلا بما كان من امره مع السلطان حسن فرجع الزحزاح للحال واخبر الامير دياب عما جرى بينهم من الخطاب واما الاميرة

بذلا فقد اخذت معها جملة من نساء العربان وتوجهت نحو صيوان السلطان واشارت تتشفع بالامير دياب وتتذكر الاهل والاحباب الذين شنقهم السلطان حسن على الاخشاب وتقول

قالت بذلا عندما مال سعدها * وعبرات عيني زايدات هدارها
وعيني تبات الليل ماتالف الكرى * ونفسي حزينة من فراق حبابها
يكون الفتى في طلعة الصبح سالم * تاتيه عسرى في توالي نهارها
غدوا الولاد كبدي هالكين على البكر * جرى دمهم فوق الاراضي غزارها
صبيهم دياب الخيل من شوم فعله * شنق اخوته وجلب لنفسه عارها
واولاد موسى شنقوهم جميعهم * وعلوا مشانقهم ووطوا بكارها
وخلوا نساهم باكيات حواسر * من الخيش عادوا لابسين حفارها
وزيان مع بدران مع زيد فاضل * وغنام فارسنا بيوم حصارها
ومنذر ومالك ثم هام واخوته * وريان مع صغران كانوا سعارها
طراف مع مناع ومحمود بعدهم * سليمان كان يركب لغالي مهارها
وسالم وماجد مع سعيد وابنه * وهدار مع مروان عادوا دمارها
عيار مع بكار وابنه سابق * وشاكر وشكار من امارة خيارها
وزاهر وماهر مع عقيل وفايد * لهم سطوة في الحرب يوم شرارها
ثمانين من اولاد زغبه تذبحوا * غدوا في البراري ماكلاً لغرابها
وهم فداك اليوم يا مير ابو على * يا عزنا يا حصننا يا خيارها
وهم فداك اليوم يا سيد الملا * يا عز قيس وعامر وهلالها
غدون مجد المرهفات ذبايح * مضت سعادتهم وافبل دمارها

اتوك بنات البدو يا سيد الملا * حفايا عرايا هالعات خمارها
هديه ونزهه بنات مرعي وشا * وزهيا ونجلا مع ظريفه وقارها
ووطفه بنت دياب تبكي حزينة * ونهيا وعليا لابسات حفارها
وبازق بنت دياب واختها حسيبة * وحسنا وست الامل تندب رجالها
جنوب وخالتها جزوع وبنتها * وزهر وبدره زايدات وقارها
حسيبة وزهر البان ابنة مهذب * بنات الاماره مع نساه هلالها
نهيا وسعده مع امينه ونافله * بنات العذاره راخيات شعارها
وعين الظبا مع بنت بدران هالعة * تقطع من القمصان غالي سعارها
ايا ابو علي شوف البنات مع النساه * ولا واحده الا وشقت ستارها
ومثلك ما يرضى الحريم بذله * يتاما حزانا محرقات بنارهـــا

قال الراوي فلما فرغت بذلا من كلامها والسلطان حسن يسمع نظامها فقال لها انا ما امنت من نفسي حتى حبست دياب والان اتركه من السجن فهذا الحديث بطال وان كلامك كله بالمحال فارجعي الى الاطلال ودونك من هذا المنال وكوني من هذا القبيل براحة بال فحينئذٍ توجهت مع النساء الى محلها واما الامير دياب فانهُ ما زال يقاسي العذاب وهو منتظر الفرج من الملك الوهاب حتى انهُ بلغهُ خبر قدوم الامير ابو زيد من بلاد نجد العدية فقال والله ما احد يقدر على خلاصي الا الامير ابو زيد فحينئذٍ استدعا بقلم وقرطاس ودواية من النحاس واشار يكتب الى الامير ابو زيد ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم * ونيران فابي زايدات ضرام
بالله يا ابو زيد بلغ سلامنا * الى حسن سلطان قوم كرام
وقل له يا عز قيس وعامر * اطلق لنا الرغبي ابو غنام
يا ما حمانا والقنا يقرع القنا * والاجواد من تحت العجاج هزام
لو قد علمت بان هذا يصيبنا * من نجد ما اتينا بلاد الشام
ويوم الزناتي حميت كل ظعونكم * وقتلته واولاده وراه ينسام
وملكتكم هذه البلاد بصارمي * في حد مرهف بالوغا صمصام
تجازوني بالحبس يا سيد الملا * وقد صار لي بالحبس سبع عوام
فيا ليت ماشفت المغارب وارضها * ولا نظرت منكم لوعة وسقام
ومازال شاش الجيد يلعب به الهوا * يشيل الاساري من سجون ظلام
اتينك يا ابو زيد قاصد شفاعتك * وما خاب من جاءك يريد سلام

قال الراوي فلما فرغ دياب من كتابه ختمه بخاتمه واعطاه للزحراح وقال له سير الى نجع ابو زيد واعطيه هذا الكتاب فاخذه وسار وجد في قطع القفار الى ان وصل لصيوان الامير ابو زيد فدخل اليه وسلم عليه وشال الكتاب واعطاه لابو زيد ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فتكدر ابو زيد من السلطان حسن والتفت الى الزحزاح وقال له بشر الامير دياب وقول له متى ما انتهت الزيارة عني اذهب لعند السلطان حسن وارجاه بدعوة دياب واذا ابى ان يطلقه فاخرجه غصبًا عن رقبته فقبل الزحزاح ايديه وسار الى ان وصل لعند دياب فاخبره بكلام ابو زيد ففرح دياب واستبشر . وايقن ببلوغ الوطر .

هذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر السلطان حسن وبني هلال
الاسود الدحال يوم من ذات الايام . كان عيد الضحيه عند العربان
والاماره مجتمعة عند السلطان حسن في الديوان فاخذوا يذكروا
الوقائع المشهورة . والفوارس المذكورة . وصاروا يمدحوا فروسية دياب
وكيف انهُ ملكهم نجد بالسيف القرضاب وحمي البوش من الدشمان .
وقتل الزناتي في الحرب والطعان . ويستحق ان يذكر فضلهُ مع الفرسان .
وكان موجود بالديوان اولاد الاماره الشبان . الذي لم يسمعوا بذكر
دياب الا باللسان فتشوقوا لمشاهدته وهاموا لرويا طلعته ولو انهُ
ساعة من الزمان فترجوا السلطان وساعدوهم الاماره والنسوان فقبل
السلطان حسن رجاهم وامر ان يوتوه بدياب مغلغلاً بالقيود والحديد
فالحال احضروه وبالجنازير قيدوه وامام السلطان اوقفوه واذا هو اصفر
اللون بهيئة الموتى فصاروا اولاد الاماره يضحكوا عليه واوصلوا الاذية
اليه فقال له السلطان حسن كيف ترى امورك الان بالذل والهوان
فقال اني بخير ما دام السلطان حسن عليّ راضي . وبعد مداولة
طويلة ارادوا ان يرجعوا الامير دياب الى السجن فقال الامير دياب
فما انا مشمشه تهزني ولا قمح تكدني بغربالك فان كان الذيب يصفى الى
الغنم انت تصفالي وانا بصفالك فصاح السلطان ويلكم دياب امسكوه
والى السجن ودوه فعند ذلك اخذ دياب يرتجف مظهراً على ذاته
الخوف الشديد فوقع على الارض مغشيًا عليه كمن قارب النزاع فعند
ذلك ترجوا الاماره السلطان وقالوا ها ان دياب في حال النزاع فامر

ان يدخلوه دار الحريم لعند اخته نوفله وما اتم كلامه الاَّ وحضرت الرجال ورفعوا الامير دياب بكل اكرام الى بيت اخته فلما نظرته على هذا الحال . وهو محمول على ايادي الرجال . صرخت بالبكاء ومزقت ثيابها واخذت تقول

حرامٌ لقد جاروا العداة وقد بغوا * علينا ونحنا بالكروب نسير
لقد كنا في عز وكنا بنعمة * وكنا برغد ما عليه عسير
فبتنا نقاسي الهم والويل والضنا * ونجري الدموع على الخدود غزير
وقد كنت يا مير الامارا وسيدهم * كسبع الفلا بالماضيات نشير
اذا هاج سوق الحرب كنت اميره * تكرّ على الاعداء مثل الزير
وتحنك خضرا مثل فرخ نعامة * تدق الثرا في رجلها وتطير
تطير على الاعداء كالنسر بالفلا * وتنقض مثل الباز حين تسير
فما كان ظني يا دياب ابن غانم * اشوفك بهذا الحال والتاخير
تشال على ايدي الرجال كميتٍ * وتبقى نقاسي الذل والتحقير

وما زالت نوفله تردد الاشعار وتسكب العبرات الى ان فتنت الاكباد . واحنت الاجساد . فبكي معها كل من حضر . وقالوا والله يحق لها ان تعمل اكثر . لان الامير دياب فارس مشتهر . وبطل غضنفر . واخذوا يطيبون خاطرها . وبسلامة الامير دياب يطمنوها . فما نشفت دمعتها . ولا زالت نكبتها . وما خفت مصيبتها . بل اسرعت ومدت الى اخيها فرشة من ريش النعام . واخذت ترش عليه من ماء الخزام . وهو ينتفض ويرتعش مما به اهان وبقي على هذا الحال

ثلاثة ايام . لا يذوق طعام . ولا يقابل منام . وهو يستغيث الفرص
حتى تناصف ليل اليوم الثالث فدخل على السلطان حسن وهو
غرق المنام فعند ذلك سحب الشفرة التي كانت معه في ايام حبسه
ويسن فيها وهو محضرها لمثل هذا الوقت فانطرح على السلطان حسن
وذبحه من الوريد الى الوريد وتركه يخبط بدمه وسار يجد السير .
تحت ظلام الليل . حتى وصل الى قومه وعشيرته عند الصباح ففرحوا
به غاية الافراح وانسروا كثيرًا برويته . واخذوا يسالوه عن قصته .
وعن كيفية اطلاقه من سجن السلطان حسن . فاخذ يقص عليهم القصة
ويخبرهم كيف صار من البداية الى النهاية ثم اخذ يقول وعمر
السامعين يطول

يقول دياب فهار العداة ✻ وكل مقدرًا لا بد باتي
ومن يعمل جميلاً قد يجازا ✻ عليه بمثله في الاتياتي
انا تافني لقيس وال عامر ✻ بجد السيف في يوم الكراتي
سبع سنين لي بحبس ابن شما ✻ سبع سنين عدة كاملاتي
تهشني القمل مما قد دهاني ✻ والخلول عشش في عباتي
فلا السلطان ارثى لامصابي ✻ ولا ابو زيد يسعى في فلاتي
انا بالسجن قاسيت البلايا ✻ ولكن قلت صبرًا يا حياتي
اولاد الامارة قد اتوني ✻ يشوفوا دياب عز المحصناتي
لما شفت ان السجن قصري ✻ اتيت المكر من بعد الفواتي
جسمي قد صبنته بماء تبن ✻ وصرت امشي وعكازي عصاتي

فيّ استهذا وا كل الاماره * مع اولادهم حتى البنات
والسلطان حسن لما راني * دعاني كيف حالك طيباتي
ونادا يادياب زلبت قلي * من الجنزير حال السابقاتي
وكيف الحبس اخبرني حقيقا * وهل واتاك ليل المظلماة
اجبتو ياحسن والله اني * بالفين خير يا اكبر عداتي
ان كان الذيب يصفى للنعايم * بصفالك على طول الحياة
انا ان عانني رب البرايا * تا افنيكم بضرب المرهفاتي
لما قد سمع للقول زمجر * كسبع الغاب في ارض الفلاتي
ونادى بصوت سياف اتاني * بيده سيف سيف الزاعفاتي
لما شفته استعملت مكري * وفوق الارض انا ارميت ذاتي
والسلطان حسن لما راني * نادى شيل راسه عاجلاتي
اتى بوزيد مثل الغول يرغي * وصاح بصوت مثل النايحات
وهجم بالسيف للسياف لما * راني على الثرا مثل الموتي
وللسلطان نادى يا ابن شما * فعال الغدر ليس بصالحتي
ونحنا ياحسن احنا نطاوع * بقتل دياب ابن المكرماتي
فالسلطان حسن بالحال نادا * يشيلوني لاختي بعاجلاتي
شالوني على الايدي وساروا * لبيت اختي وروحي ذاياتي
لما نوفلة شافت اخوها * بدت تبكي بدمع الساكباتي
مدة على الثرى من الفرش سبعا * وفوق اللحف لقحت لي عباتي
ثلاث ايام ابقيت المنامه * ونار المر فيّ شاعلات

بنصف الليل قمت بكل عزمي * وللسلطان قصدي بالممات
ذبحته ذبحةً قد راح فيها * واسكنته بدار الذايلات
وسرت الليل امشي بكل سرعه * حتى وصلت ارضي ومفرجاتي
هذا ما جرى يا ولاد عمي * شدوا للرحيل الصافنات
وخلونا نسير بكل همة * ونوسع بالفلا بالشايلات
هدوا كل خيمة واحزموها * وشدوا الخيل قبل المدركات

قال الراوي هذا ما كان من الامير دياب وهو يقص ما جرا له على اولاد عمه فلما سمعوا ما قاله دياب وعلموا انه قتل السلطان حسن انقلبت افراحهم الى اكدار . واظلم في وجوههم النهار . وما منهم احد الا وكبر ولعلامات الحزن والاسف اظهر . وقالوا والله يا دياب لقد فعلت فعلاً منكر . وركبت طريقًا ضيق المسالك والجناب . وسديت في وجوهنا الابواب . بقتلك السلطان حسن ابن عمنا فكيف تجاسرت على هذا العمل وهو صهرك . وسلطان بني هلال وكاشف ضرك . والان لقد اصبحنا عبرة عند العرب الكرام . الذين يحفظون الزمام . فسوف يصير بنا كما صار مع جساس ابن مرة والامير كليب . ومن الان اصبحت عداوة كبيرة بين عشائر بني هلال . وسوف يصلون الينا اوشم حال . هذا وما زالوا بمثل هذا الكلام للامير دياب حتى كرهت نفسه الحياة وقال يا ابناء عمي . ورافعين همي وغمي لقد صار ما صار وسبق السيف العزل . فالندم على ما فات . من اشد الحصرات . والان الاوفق لنا ان نرحل من هذا المكان . ونوسع بالبر والقيعان

قبل ان تدركنا جموع بني هلال . ونلعب بيننا وبينهم السيوف الصقال . والرماح الطوال . فلما سمعوا كلامه . وفهموا مرامه قالوا نعم ان هذا الاحسن لنا . لعلا تدركنا جيوش بني هلال . ويتسابق بيننا الفنا . فبالساعة هدموا الاطناب واودعوها ظهور الجمال . واركبوا النساء والاطفال وساروا بعاجل الحال . وكانوا يجدون في قطع الروابي والبطاح . ويوسعون بالبر تلك النواح هذا ما كان من امر الامير دياب واولاد عمه . واما ما كان من ال قيس وال عامر فان عطور الجيد انتبهت من رقادها وشاهدت السلطان حسن قتيل . وفي دمه جديل . فصاحت باصوات البكاء ومزقت ثيابها على هذا البلاء . وناحت وولولت بما يذيب الاكباد . وينتت حجر الجماد . فتراكضت جموع بني هلال على بكاها . واسرعوا لينظرون ما قد دهاها فوجدوا ان السلطان حسن مطروح على الارض قتيل . وبدمه جديل . فعلت منهم الاصوات وسكبوا العبرات . واكثروا التنهدات . فسمع ابو زيد الصراخ فوثب بعاجل الحال وخرج يستقصي الخبر فنظر جموع بني هلال مزدحمت على صيوان السلطان حسن وهم بالبكاء والعويل فسال ما الخبر فاعلموه بقتل السلطان حسن . فصاح صياح الثكلآء . وزاد النحيب والبكاء . ومزق ثيابه ورمى شاشيه عن راسه ووضع عليه التراب واخذ ينتف لحيته وتقدم الى السلطان حسن ووقع عليه يقبله ومن عظم ما اعتراه وقع على الارض مغشيا عليه . فتراكض الناس واخذوا يرشوه بماء الخزام . ويطيبون خاطره

بالكلام وهو يئن من قلب جريح . وينوح ويصيح وما زال على مثل هذا الحال حتى جرح القلوب فوق جرحها فتقدم اليه اولاد الاماره واخرجوه الى خارج الصيوان واخذوا بخاطره من هذا الشان وقالوا له يا امير ابو زيد ان بقيت على هذا الحال تفقد حياتك بدون محال . فنتيم على فقدك الرجال ومثل هذا الكلام كانوا يخاطبوه حتى سكن روعه فالتفت الى النافله وقال لها يا نافله اين كنتِ لما فعل اخوك هذه الفعال . وحين قتل سيد الابطال وسلطان العرب والعجم والترك والدلم . فزادت بالنحيب والعويل واخذت تخبره بقصيد . وعمر السامعين يزيد

تقول فتات الحي ام بريقع ❊ ولي هم في قلبي لمن اشكيه
وبي علة طي الفواد مقامها ❊ ونار الجوى في ضامري تكويه
وان كنت اشكي الحال تشمت بي العدا ❊ وان ما شكيت الحال كيف اخفيه
وما شكرتي الاّ لربي وخالقي ❊ ذاك الذي للسر قد يدريه
جابل الانسان من حال العدم ❊ يدري به من قبل ان ينشيه
لا مهربًا للمرء من حكم القضا ❊ لا يمنع الانسان ما ياتيه
اهدي لربي الحمد ما طير شدا ❊ سبحي وشكري خالقي اهديه
ربي قضى بفراق عزّي وسندي ❊ عن ناظري يامقلتي ابكيه
ابكي معي ياطير طاير بالفلا ❊ ابكي حسن واليوم قم ارثيه
ابكي معي يانجم ابكي ياقمر ❊ ياشمس ابكي دمعكِ ابديه
ابكي معي ياغيم ساير بالعلى ❊ يارعد ابكي ها البطل الفقيه

زيد البكا يارج لافراق الحبيب * راح انفضا ياعين لا تسليه
بالله ياوحش القفار ابكي حسن * وزيد البكا يصوت الاسف ناديه
ياغصن يانع قد ذبل لم يرتجع * ياحصرتي صار الفنا طاويه
يا آل قيس اندبوا شيل الاسد * نور الهدا ليل الردا كافيه
يا آل عامر اصبغون تهابكم * سواداً وها قلبي الضنا كاسيه
سيفه المهند يارماح ابكوا معي * يادرع سيدك اين تغدي فيه
خيل الاصايل ادمعوا زيد وامعي * كثر البكا يامقلتي زيديه
بوزيد اسمع لاكلامي وافتهم * ركبي انهدم من لي بقا يبنيه
لما اتاني دياب في حال الردي * ظنيت ان القبر قد يقنيه
ناديت باوشم نار ياقلبي اكتوي * دياب ابن غانم بالحشا افديه
لكن لقى والمكر لم ادر به * ابدى الحيل نحوي بلا تشبيه
لما الدجى ارخى علينا حباله * دياب ابن غانم قام يسري فيه
ادعى لسلطان البرايا مجندلاً * فوق الثرى ياحيف من يشفيه
ياليت اخي بالعمر ما يلقى هنا * وفي كل شدة ربنا يبليه
يدعيه في حال الضنا وحال الفنا * بين العدا بالذل قد يرميه
شمت بنا الاعدا وشتت شملنا * يارب طول العمر لا تهنيه
اكتب له كل المخاطر والكروب * عنا فعل يارب جازيه
ياحيف يا سلطان حسن فوق الثرا * تبقي قتيلاً والدما تجريه
يامشبع الجوعان ياكاسي اليتيم * وحش البراري كم كنت تقريه
لك صيط فوق الشمس يابدر الرفيع * لك ذكر غيرك ما احد حاويه

بوزيد ابكي قد قضى السلطان حسن * ياعين سيدك ليمنى تلاقيه

قال الراوي فلما فرغت ام بريفع من كلامها وابوزيد وجموع بني هلال يسمعون نظامها كثرت منهم الاصوات . وزادت بينهم الصرخات وعلت التنهيدات . وظهرت الانات . وقامت الحصرات . وجزت شعورهن النساء والبنات . وهطلوا الدموع كالامطار . الكبار والصغار . واقبلت اختهُ الجازية وهي تصيح . من قلبٍ جريح . وتبكي بدموع غزيرة على مصابها . وتنتف شعرها وتمزق ثيابها . وتضرب راسها بالحصآء . وهي تئن انات الخنسآء وتندب اخاها السلطان حسن . وتقاسي لاجله المحن . وتقدمت ووقعت عليه تقبل قدميه . ومن عظم ما اعتراه انطرحت على الارض كالاموات حتى ظهر انها فارقت الحياة . فتراكضت النساء . ورشقوها بالملآء وقاموها عن الثرآء . وهي تولول وتصيح . حتى دعت كل قلب عليها جريح . قال الراوي عند ذلك طافت الارض ما سقط عليها من الدموع . واجتمعت على الاصوات سائر عربان تلك النواحي والربوع . فكان يوم حزن يالهُ من يوم به اظلمت شمس الافراح . واشرقت شموس الاتراح . وكثر البكاء والنواح . والجازية تزيد بكاها . وتندب اخاها واشارت تقول

تقول فتاة الحي ام محمد * دمعي جرا فوق الخدود وساح
في طي قلبي النار زاد لهابها * تكوي الحشا ولزعاتها تجرح
يا لوعتي من يانرى قد ذاقها * يانوح قلبي من كنوحي ناح
ابكى على اخٍ تركني وقد غدا * ياحصرتي ما عاد لجسمي جناح

ياحيف باسلطان حسن فوق الثرا * تبقى محجندل بالدما سباح
ياحيف سبع الغاب عنا اليوم سار * لاجل بعد السبع عقلي اليوم راح
يادمعتي ماظن من عيني تزول * والله تقضي العمر بالانزاح
عامود ركني قد هبط يانكبتي * طول المدا ما انظر الافراح
طير الغراب يصيح في صوت قبيح * واليوم فوقي قد اتى بصراخ
من بعد عزي صرت ابكي ودمعتي * زادت عليّ وما لها ابراح
الله يجازي من سعى بفراقنا * من كان لسلطان حسن ذباح
شلت ايادي دياب ذاك الوغد لين * ولى وخلى دمعنا طفاح
بدعي عليه ماطار طيرٌ بالفلا * يدعي عليه ما انقصن فيه الريح لاح
ابكوا معي يا آل قيس ياكرام * زيدوا معي يا آل عامر بالنواح
ياجميع هلال سافر سيدكم * ما عاد يرجع قصفوا الارماح
سيوف الهنا اكسروها بالعجل * ادعوا الخيول تروح للاسراح
هاتوا العمائم اصبغوها اليوم سود * بحر الاسف موج الحزن قد باح
حاكم الاقطار سلطان العرب * ومدبر الفرسان يوم البعد ناح
يابين ما هذا العمل فينا رميت * سهم النوى ياحيف اطلقت الجماح
ياسامعين صوتي معي اندبوا * ظهري انقطع عقلي ذهب فكري كدح
قد قل حيلي انهد جسمي ياترى * مثلي بكل الناس صابته جراح
تسعين في تسعين الف ومثلها * قد كنت حاكم ياحسن قوماً ملاح
واليوم فارقت المنازل والربوع * خليت كثر الهم بعدك والكفاح

قال الراوي فلما فرغت الجازية من رثاها . وجموع بني هلال ناظرون

ما قد دهاها . ومن الهم والغم قد اعتراها . صاحوا عن فرد لسان الله واكبر . على من بنا غدر . فما هذا المصاب الذي اصابنا وما هذه النكبة التي بها نكبنا . وما هذه البلية التي كاس مرارتها شربنا . قال الراوي وكنت تشاهد جموع بني هلال بالحزن الشديد الذي ما عليه مزيد . والكل شاخصون ناظرون الى جثة السلطان حسن . ودموعهم تهطل على الارض كالامطار لما هم به من الكروب والمحن وما كان الا وتقدمت مريم ابنة ذهر البان الفرنجية زوجة ابو العرف ووقفت فوق راس السلطان حسن واشارت تقول

دمعي جرا من فوق خدي وانسكب ✻ والنار في قلبي تزيد كثر اللهب
يا بين شبت الغدا فينا وما ✻ كان العهد سيف الغدر قد ينتحب
شمس المعارف اظلمت انوارها ✻ والليل اصبح بالمخاوف والكرب
بدر العلى يا خيف من فوق الثرى ✻ يبقى طريحًا والعراب فينا نعب
يا كوكب الاقبال يا سلطان حسن ✻ يا عزنا يا فخرنا يا منتسب
يا حيف هذا الوجه يعلاه الكدر ✻ يا حيف هذا القد يفنيه التراب
فارقتنا ما حل يوم فراقنا ✻ ماذا جرا لفراقنا ما هو السبب
اضحوا جموع هلال شخصك خاسرين ✻ صبحوا يتامًا في الضنا وكثر الشحب
الله يجازي دياب في حال العما ✻ الله يجازي دياب في هم وتعب

الى هنا انتهى هذا الكتاب وتمام الحديث في الكتاب الذي يليه وهو دوان اليتامى اي الـ ١٦ من التغريبة : ومن اراد الحصول عليه يطلبه من المكتبة العمومية خاصة الخواجات ابرهيم صادر واولاده في بيروت